قوة الحق في مواجهة جبروت القوة



رسالة من محمد مهدي عاكف– المرشد العام للإخوان المسلمين

تحتفل مصر ومعها شعوبُ العالم العربي والإسلامي بعيد تحرير سيناء، التي قدَّم الشعبُ المصريُّ تضحياتٍ عزيزةً من أجل استرداد كلِّ حبة رمل من رمالها، وكان سندُنا الكبير طوال سنوات المعاناة والحروب بعد إيماننا بالله تعالى الذي ترجمته صيحاتُ تكبير الجنود "الله أكبر" هو إيمانَنا باستردادِ أرضِنا وكرامتِنا، واستعدادَ الشعب المصري كله بالتضحية في سبيل النصر على أعدائه، المغتصبين لأرضه، المستبيحين لكرامته.

إن أهم دروس تحرير سيناء هو قدرة الحق بقوته الواضحة المجرَّدة على هزيمة القوة المتغطرسة المدجَّجة بكل أنواع السلاح، عندما امتلك أصحاب الحق الإرادةَ الجازمةَ، وقدَّموا التضحية العزيزة، وتحلَّوا بالوفاء النادر، والتزموا بمعرفة الهدف وعدم الانحراف عنه أو المساومة عليه أو الخديعة بغيره.

إننا نقدم خالصَ تهنئتِنا للشعبِ المصريِّ والأمة العربية والإسلامية ولقواتنا المسلَّحة الباسلة في هذه المناسبة العزيزة، ولن يُثْنِيَنا عن ذلك أن يُزَجَّ بهذه المؤسسة الوطنية في مجال الخصومات السياسية، وأن يُحالَ أمام قضائها العسكري مدنيُّون لا ذنبَ لهم إلا أنهم يعملون مخلصين من أجل رفعة هذا الوطن العزيز على مبادئ الإسلام العظيم!!

واليوم.. ونحن نحتفل بعيد تحرير سيناء.. ما أحرانا أن نستعيدَ هذا الدرسَ المهمَّ والخطيرَ في مواجهة موجةِ الحرائقِ، التي تشتعل مِن حولنا، وتدمِّر مقدَّرات أمتنا العربية والإسلامية:

* حق الشعوب في النضال السلمي المشروع؛ من أجل الحرية والكرامة والعدل والمساواة، في مواجهة جبروت الأنظمة المستبدَّة والظالمة والفاسدة المفسدة.

* حق الشعوب في الشورى والديمقراطية، في مواجهة انفراد نُخَب ضيقة حاكمة ومتحكِّمة في مقدَّرات الشعوب، ورسْم سياسة البلاد، وتصريف مصالح العباد، دون وازعٍ من قانونٍ أو دستورٍ أو خلُقٍ أو ضميرٍ.

* حق الشعوب في المقاومة الشرعية المشروعة في مواجهة جبروت القوة الطاغية.. قوة الاحتلال الاستيطاني أو قوة الغزو العسكري (قوة أمن الحكومات الضعيفة الفاقدة للشرعية والتي لا تمثِّل شعوبَها)، أو قوات التدخل الخبيث باسم حقوق الإنسان، أو حلِّ النزاعات الأهلية والإقليمية ولو كانت باسم الأمم المتحدة.

* حق الشعوب في العلم والمعرفة وامتلاك التكنولوجيا في مواجهة استحواذ البعض على التكنولوجيا المتقدمة وأسرار العلم الحديث.

* حق الشعوب العربية والإسلامية في الوحدة والتعاون المشترك في مواجهة خطط التمزيق والتفرقة ومخططات التجزئة وبثّ الفتن وإثارة النزاعات.

لقد اختطفت الإدارة الأمريكية العالمَ كلَّه في لحظةٍ تاريخيةٍ في أعقاب الحادث المأساوي في 11 سبتمبر 2001م، وأجبرت العالمَ كلَّه على السيرِ خلفَها في حربها ضد الإرهاب، دون تحديدٍ واضحٍ أو تعريفٍ محدَّدٍ لمفهوم ومعنى الإرهاب، ودون تمييزٍ صريحٍ بين الحقِّ في المقاومة المشروعة التي كفلتها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية والمواثيق الدولية وبين العمليات الإجرامية الإرهابية التي تستهدف الأبرياء لا المحتلين الغزاة المجرمين!!

وسارعت الإدارة الأمريكية في توظيف الحدث لصالح حليفِها الاستراتيجي في المنطقة (الكيان الصهيوني)، المغتصِب للأرض المقدَّسة، والمنتهِك لحرماتِ المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، فدمغت المقاومة الفلسطينية واللبنانية ضد الاحتلال والعدوان الصهيوني بوصف الإرهاب ووضعتها على قائمة الحركاتِ الإرهابية، وأجبرت أوروبا وبقيةَ دول العالم على السير خلفها؛ مما وضع العالمَ كله في مأزقٍ خطيرٍ: كيف يتعامل مع حكومة منتخَبة بديمقراطية شفَّافة لم يشكِّكْ فيها أحدٌ؟ ويفرض حصارًا ماليًّا على الشعب الفلسطيني لأكثر من سنة يتعرَّض فيها لانتهاكاتٍ بشعةٍ لأبسط حقوقه في العلاج والتعليم والنظافة وكل مرافق الحياة..!!

ومأزق آخر في لبنان يعرِّض وحدة البلاد الوطنية إلى فتنة خطيرة قد تؤدي إلى حرب أهلية تُستخدم فيها الأسلحة القذرة ويُوظَّف الاختلاف المذهبي المشروع إلى شرْخ يهدِّد وحدة الشعب اللبناني..!!

مَن الذي فوَّض الرئيس بوش ونائبه تشيني وأركان إدارته في الأمم المتحدة والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وغيرها في التدخل في كلِّ أمورِ العالمِ وفرضِ أجندتِها الخاصة لحماية مصالحها المنفردة ومصالح حليفتِها إسرائيل، على حسب مصالح بقية دول وشعوب العالم كله؟!

لا القانون الدولي ولا ميثاق الأمم المتحدة ولا الاتفاقيات الدولية تعطي الإدارة الأمريكية الحقَّ في ممارسة دور شرطي العالم، وتنشر قواتها في أرجاء المعمورة، وتشنّ الحروب الاستباقية هنا وهناك، وتشعل الحرائق في كل مكان، وتبذر بذور الفوضى المدمّرة في أنحاء الأرض.

إن العالم اليوم على مفترق طرق، فبعد حربَيْن عالميَّتَيْن مدمِّرتَيْن تصارعت فيهما دول أوروبا أولاً، ثم وسعت مداها إلى الشرق والغرب، وأزهقت فيها أرواحُ عشرات الملايين من البشر من كل الجنسيات.. توصَّل العالم إلى ميثاقٍ للتعايش بين الأمم والشعوب، وأصبح هناك قانونٌ دوليٌّ يحتكم إليه الجميع، واليوم ها هي أمريكا تدوس بأقدامِ جنودِها القانونَ الدوليَّ، وتدهس بأحذيتهم الغليظة ميثاقَ الأمم المتحدة في كل مكان، وتنتهك كلَّ الاتفاقيات والعهود.

– ففي فلسطين.. مأساة مستمرة، ومظالم لا تتوقَّف منذ ستين سنة أو يزيد، يتعرَّض لها الشعبُ البطلُ الصامدُ الرابضُ للدفاع عن المقدَّسات في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

– وفي العراق.. مأساة متجدِّدة منذ 4 سنوات، وثمارها المُرَّة تتجسَّد في خروجِ ولجوءِ أكثر من 4 ملايين عراقي في الخارج والداخل، وكأن الهدف هو إفراغُ العراق من أهله لإحلال مستوطنين جدُدٍ في أسْرٍ بابليٍّ جديد، وأكثر من مليون قتيل، فضلاً عن نهب ثروة العراق النفطية، وتمزيق وحدته الوطنية، والسعي بدأب لتقسيم أرضه إلى ثلاث دويلات كانتونية، في تمهيدٍ لـ"سايكس بيكو" جديدة، تُمزِّق العالم العربي إلى عشرات الدويلات؛ كي تتمتع الدولة اليهودية بالأمن والأمان.

ولا تتحرك الحكومات العربية إلا من أجل إنقاذ أرواح الجنود الأمريكيين الغُزاة، ولا تنعقد المؤتمرات إلا لإنقاذ خطة بوش الأمنية الفاشلة في حربه الخاسرة، ويا للعجب.. الكونجرس الأمريكي يضغط لإنهاء الحملة الفاشلة، والحكومات العربية تسارع لإنقاذ بوش الفاشل!!

– وفي الصومال.. غزوٌ جديدٌ من عدوٍّ يتربَّص، ودماءٍ تُنزَف، بعد فترة هدوءٍ واستقرارٍ لم تستمرَّ إلا لـ6 شهور باسم مقاومة الإرهاب الوهمي، وبذريعةِ التصدي للخطر الإسلامي، والعالم يتفرَّج ولا يتحرك، والعرب لا يبالون ولا يتكلمون، وإذا تكلم بعضُهم يعطي الأعذارَ للغُزاة المحتلين.. أين حمرة الخجل؟!

– وفي السودان.. ضغوط أمريكية بريطانية لا تتوقف؛ من أجل إدخال عشرين ألف جندي دولي إلى دارفور، في تصعيدٍ واستغلالٍ واضحين للقرارات الدولية، وانحيازٍ أشدَّ لجماعاتِ التمرُّد التي ترفض وقْفَ القتال رغم تعهُّد الحكومة السودانية بوقف العمليات المسلَّحة من جانبٍ واحدٍ، والأهداف المريبة لا تخطئها عين المراقب المحايد.

آن الأوانُ اليومَ ليقول العالمُ كلمتَه لأمريكا مثلما يقولُها الشعب الأمريكي في مظاهراته المليونية، ويتردَّد صداها في الكونجرس الأمريكي ذي الأغلبية الديمقراطية: كفى حروبًا مدمرةً، وكفى نشرًا للفوضى المدمرة، كفى مغامرات.. كفى فسادًا وإفسادًا في الأرض ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم: من الآية 41) ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة: من الآية 205) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة: 11) ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 12).

إنها حرب خاسرة في العراق، ومغامرة يائسة في دارفور، وغزو فاشل في الصومال، وتهديدات بحرب مجنونة ضد إيران، وقبل ذلك وبعده استيطان عدواني مصيره إلى الزوال في فلسطين الحبيبة.

لقد ذُقنا الثمار المُرَّة للحرب العشوائية ضد الإرهاب.. تفجيرات هنا وهناك، يغذيها يأس من الإصلاح، وحماس شباب يفتقد الحكمة، وإن كان لا ينقصه الإخلاص، وتُحرِّكه أيادٍ خبيثةٌ مريبةٌ من وراء ستار، وقد عانت العواصم العربية جميعًا– ومعها عواصم ومدن عالمية– من آثارِ مغامرات الرئيس بوش ومعاونيه المتصهينين والمتعصِّبين، فازدادت موجاتُ العنف والإرهاب، فهل آنَ الأوان لمراجعة تلك الحرب التي تغذيها السياسات الأمريكية الخاطئة والفاشلة.

على الشعوب العربية والإسلامية أن تعتزَّ بدينها، وتتمسَّك بعقيدتها، وتتحلَّى بأخلاق الإسلام العظيم، الذي يدعو إلى التعارف والتقارب بين الشعوب، والتسامح مع كل بني آدم، الذين كرَّمهم الله تعالى.. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13)، ويعلمنا أن التكريم هو لأصل الإنسان.. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: 70).

على الشعوب العربية والإسلامية أن تجاهد في سبيل حقوقها المهدَرَة ضد الاستبداد والفساد بكل الطرق السلمية المشروعة، وأن ترفع صوتَها عاليًا ضد الظلم، وتقف في وجْه الظالمين مهما أصابَها من عَنَت ومهما قدَّمت مِن تضحيات.

على النُّخَب المثقَّفة في العالم العربي والإسلامي أن تقوم بواجبها لتوعية الشعوب وقيادتها، وتقديم القدوة والمثل من نفسها، وأن تفضحَ كلَّ المؤامرات والمغامرات التي تقوم بها أمريكا وتساندها فيه حكوماتنا الضعيفة المستسلمة للضغوط الأمريكية والصهيونية.

علينا جميعًا أن نسعى للإصلاح والمصالحة لإقامة نظامٍ سياسيٍّ يَحترم حقوقَ الإنسان، ويسمح بتعددية سياسية حزبية، ويشرك الشعوب وممثِّلوها المنتخَبون– بحريةٍ ونزاهةٍ– في صنْع القرارات المصيرية والمهمة، بما يكفل تحقيق حياة حرة كريمة، تضمن للناس الحدود الدنيا من العدل الاجتماعي والخدمات الأساسية والمرافق الحيوية لكفالة الأمن والاستقرار.

علينا مناصرة كلِّ الشعوب التي تتعرَّض للحملات الظالمة الغاشمة من الولايات الأمريكية وحلفائها، خاصةً تلك التي بجوارنا والتي ستنتقل شرارةُ اللهب منها إلى بلادنا، مثل فلسطين والسودان والعراق والصومال وأفغانستان.

واجباتنا ثقيلة، والفوضى تنتشر من حولنا في كل مكان، فالحذرَ الحذرَ، ولْنشحذ الهمم، ولنستنهض العزائم، وإلى العمل أيها المسلمون.. ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105).

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.